بسم الله الرحمن الرحيم

آفةٌ خطيرة وبليةٌ كبيرة ورزيةٌ عظيمة، مَنْ ابتُلي بها فقد اجتمعَت فيه الآفات كُلّها والشرور جميعها والخبائث بأصنافها وأنواعها؛ إنها **الخمر الخبيثة**، وكذلكم ما كان مثلها أو أشدَّ منها من **المُفترات والمُخدرات**.

ولنستمع في هذا المَقام الخطير إلى كلام الرَّحمن وخطاب المنَّان لأهل الإيمان تحذيرًا من هذا الجرم العظيم والذَّنب الكبير، قارنًا له تبارك وتعالى بأمَّهات الآثام، ومُبيِّنًا سُبحانه أنَّه عَملٌ من أعمال الشيطان، وأنَّ فيه صَداً عن ذكر الله وإقَام الصلاة وغيرِ ذلكم من أعمال الإيمان، قال الله تبارك وتعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾[المائدة:90-91].

قُرِنَت الخمرُ بالأنصاب – وهي الأصنام التي كان يعبدها أهلُ الجاهلية – بل قُرنت بأعمال الجاهلية وشنائعهم وعظائِم أعمَالهم؛ وذلكم لما يترتّبُ عليها من آفاتٍ خطيرة وأضرارٍ جسيمَة، بل صَحَّ في الحديث عن نبينا ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ مُدْمِنُ خَمْرٍ لَقِيَهُ كَعَابِدِ وَثَنٍ**»[1]، وما ذلكم إلا لشناعة تعاطي الخمور وما شاكلها وما هو كذلكم أشد منها من المفترات والمخدرات، وأن من علِق قلبه بها وشغف بتعاطيها جرَّت عليه من صنوف البلايا وأنواع الرزايا ما لا حدَّ له ولا عدّ، بل صح في الحديث عن نبينا ﷺ أنه قال: «**اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ**»[2] رواه الحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ولقد وقف الخليفة الراشد عثمان ابن عفان رضي الله عنه خطيباً في الناس يوما محذِّراً من الخمر ومبيناً آفاتها وأضرارها فقال رضي الله عنه: «**اجتنبوا الخمر فإنها أمُّ الخبائث، فإنه كان رجلٌ فيمن كان قبلكم مُقبِلاً على العِبادة ومعتزلاً النساء**

فعلِقَته امرأة فأرسلت له جارية تدعوه إليها للشهادة، فجاء ليشهد فكانت الجارية كُلَّما دخَل من باب أغلقته حتى دخل وأفضى إلى امرأةٍ وضيئةٍ جميلةٍ حَسناء، وإلى جنبها غُلام، وإلى جنبها أيضًا وِعَاءُ خَمر؛ فخيَّرته بين أحد أُمُورٍ ثلاثة: إما أن يقع عليها، أو أن يقتل الغلام، أو أن يشرب كأسًا من خمر، فاختار الرجل أن يشربَ كأسًا من خمر، فلمَّا شرب الكأس قال: زيدوني آخر، فلما شرب الآخر سَكِر فوقع على المرأة وقتل الغلام». قال رضي الله عنه: «**فاجتنبوا الخمر فوالله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر في قلب رجل إلا أوشك أحدهما أن يُخرِجَ صَاحِبَه**»[3].

إنَّ آفات الخمور وأضرار المخدرات على الأفراد والشعوب والجماعات لا حد لها ولا عد؛ فهي كما قال نبينا ﷺ: «**مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ**» وكما قال عثمان رضي الله عنه: «**أُمُّ الْخَبَائِثِ**» بمعنى أنَّ مُتعاطي الخُمور والمُخدِّرات يجلب على نفسه بتعاطيها كُلَّ آفةٍ وكُلَّ شَرٍّ، ويجلب على مُجتمعه وعلى أهله وأبنائه وأسرته الشُّرور المُتنوعات والآفات الكثيرات.

الخمور والمخدرات سببٌ للصَّد عن ذكر الله وعن إقام الصلاة.

الخمور والمخدرات فتحٌ لأبواب الكبائر والآثام.

الخمور والمخدرات نزعٌ للحياء وقطعٌ لجلباب الستر والحشمة والعفة.

ولقد بلغت الحال بعدد من المتعاطين أن يضحي الواحد منهم بكرامته وشرفه وربما بزوجته وابنته من أجل ذلك التعاطي المأفون، تعاطي المخدرات فتحٌ لعمل الشيطان ليمليَ للمتعاطي كل آفةٍ وكل بليةٍ وشر؛ ولهذا حرص أعداء دين الله على ترويج المخدرات ونشرها وإشاعتها في المجتمعات المسلمة؛ ولهذا أيضا كان المُروِّج للمخدرات في المجتمعات المُسلمة مُجرماً كَبيرا ومُفسداً عظيما يستحقُّ بجريمته هذه أن يطاح رأسه؛ لأنَّ في إطاحة رؤوس مُروِّجي المُخدرات إطاحةٌ برؤوس مُروِّجي الشر

والفساد وتجفيفٌ لمنابع الشرور والآثام، ولهذا فإن دلالة ولاة الأمر على المروجين للمخدرات من التعاون على البر والتقوى ومن القضاء على منابع الإجرام ومروجي الشرور والفساد.

والواجب على الآباء وأولياء الأمور والمربين ملاحظة أبنائهم ورعاية أولادهم وتحذيرهم من هذا الشر المستطير، ولقد حرص المروِّجون – قاتلهم الله أنى يؤفكون – على إفساد أبناء المسلمين لأن هذه الآفة الخطيرة إذا جُرَّ إليها الحدَث أو الصغير وجُرَّ إلى فعلها لمرة واحدة كان ذلك سببًا للتوغّل والدخول في أعماق الفساد – حمانا الله وإياكم –.

فلنسأل الله –جلَّ وعلاَ– أن يطهرنا وأن يقينا في بيوتنا وفي مُجتمعاتنا المُسلمة من الشُّرور والفساد ومن الخمور والمخدرات، وأن يحفظ علينا ديننا، وأن يحفظ علينا إسلامنا، وأن يجنبنا أنواع الشرور والفساد.

أورد الإمام ابن كثير رضي الله عنه في أوائل تفسير سورة غافر عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه خبراً في قصة رجلٍ من أهل الشام كان يرتاد مجلس عمر رضي الله عنه ففقده عمر فقال: «**ما فعل فلان بن فلان؟**» فقالوا: يا أمير المؤمنين، يتابع في هذا الشراب، فدعا عمر كاتبه، فقال: اكتب: «**من عمر بن الخطاب إلى فلان ابن فلان، سلام عليك، أما بعد: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول، لا إله إلا هو إليه المصير**». ثم قال لأصحابه: «**ادعوا الله لأخيكم أن يُقْبِل بقلبه، وأن يتوب الله عليه**».

فتأمَّلوا – رحمكم الله – هذا الصنيع الجميل الذي صنعه هذا الخليفة الراشد في شخصٍ بدأ في أوَّل الطريق في تعاطي الخمور والوقوع فيها؛ فجمَع له بين الأمرين: **النصيحة البليغة والموعظة المؤثرة**، والأمر الثاني: **الدعاء له** وحث إخوانه المسلمين بأن يدعو الله له بأن يقبِل بقلبه، ولما بلغ

الرجلَ كتابُ عُمر جعَل يقرؤه ويردده، ويقول: **غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب**، قد حذرني عقوبته ووعدني أن يغفر لي.

ولهذا ينبغي على المسلم أن يكون ناصحًا لكل من ابتلي بشيء من هذه الآفات بالدعاء له بظهر الغيب بأن يُقبِل الله -جلَّ وعلاَ- بقلبه، وأن يناصحه بالنصيحة المُؤثرة وبالموعظة النافعة، والهداية بيد الله والتوفيق بيده لا شريك له، ونسأله جلَّ في عُلاه أن يُقبِل بقلوب المبتلين بهذا الذنب أو بغيره إليه، وأن يهديهم إليه صراطًا مستقيما وأن يهدي ضال المسلمين وأن يردهم إلى الحق رداً جميلا.

(1) أخرجه الإمام أحمد ﷺ في مسنده برقم: (2453)، وقال العلاَّمة الألباني ﷺ: «**صحيح لغيره**» كما في «صحيح الترغيب والترهيب»: (2364).

(2) وهو مخرَّجٌ في «السلسلة الصحيحة» للعلامة الألباني ﷺ برقم: (2798).

(3) أخرجه عبدالرزاق في «مصنفه» برقم: (17060)، والبيهقي في السنن الكبرى: (17802)، وقال العلامة الألباني ﷺ «**صحيح موقوف**» كما في «صحيح سنن النسائي»: (5682).

قال الإمام ابن قيّم الجوزية ﷺ في كتابه: «**حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**»، تحت الباب السابع والأربعين: (في ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها الذي تجرى عليه)، قال ﷺ: «..وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد:15].

فذَكر سُبحانه هذه الأجناس الأربعة ونفى عن كلِّ واحدٍ منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغيَّر طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصا، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها، وآفة العسل عدم تصفيته. وهذا من آيات الرب تعالى أن تجري أنهارٌ من أجناسٍ لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها، ويجريها في غير أخدود

وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها، كما ينفي عن خمر الجنّة جميع آفات خمر الدُّنيا من الصُّداع والغول والإنزاف وعدم اللذة، فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا: تغتال العقل، ويكثر اللغو على شربها، بل لا يطيب لشرابها ذلك إلا باللغو، وتنزف في نفسها، وتنزف المال، وتصدع الرأس، وهي كريهة المذاق، وهي رجس من عمل الشيطان، توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وتدعو إلى الزنا، وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم، وتُذهب الغيرة، وتُورث الخزي والندامة والفضيحة، وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانين، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات، وتكسوه أقبح الأسماء والصفات، وتسهل قتل النفس وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرته أو هلاكه، ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال الذي جعله الله قياما له ولم يلزمه مؤونته، وتهتك الأستار وتظهر الأسرار، وتدل على العورات، وتهون ارتكاب القبائح والمآثم، وتُخرِج من القلب تعظيم المحارم، ومدمنها كعابد وثن. وكم أهاجَت من حرب، وأفقرت من غني، وأذلت من عزيز، ووضعت من شريف، وسلبت من نعمة، وجلبت من نقمة، وفسخت من مودة، ونسجت من عداوة، وكم فرَّقت بين رجل وزوجته فذهبت بقلبه وراحت بلبه، وكم أورثت من حسرة وأجرت من عبرة، وكم أغلقت في وجه شاربها بابا من الخير وفتحت له بابا من الشر، وكم أوقعت في بليَّة وعجَّلت من منيتة، وكم أورثت من خزي، وجرَّت على شاربها من محنة وجرت عليه من سفلة، فهي جماع الإثم، ومفتاح الشر، وسلاّبة النعم، وجالبة النقم، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد كما ثبت عنه ﷺ أنَّه قال: «**من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة**»(4)، لكفى.

وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا وكلها منتفية عن خمر الجنة». انتهى

(4) صحيح البخاري: (5575)، ومسلم: (2003).

أَضرَارُ الخُمُور والمُخدّرات

إعداد
عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر

www.al-badr.net

العلم الصحيح
العقيدة والمنهج على فهم السلف الصالح